الفصل الثالث

- الإرهاب الصهيونى فى ظل الإنتداب البريطانى
- دير ياسين يتحول إلى حمام دم فى أفظع عملية إرهابية
- من مذكرات جاك دى رينيه ممثل الصليب الأحمر فى فلسطين عام ١٩٤٨

الإرهاب الصهيونى فى ظل الإنتداب البريطانى

مجازر الإرهاب ترتكب فى ظل الإنتداب البريطانى :

وقبل أن نسترسل فى الحديث على قرار التقسيم وبصورة خاصة على تاريخ أول أغسطس ، وهو التاريخ الذى حددته بريطانيا لانسحابها من فلسطين لتجسم عملية الغدر البريطانى بالعرب وبحقوقهم .. لابد من إزاحة الستار على أرض فلسطين لنرى ما كان يرتكبه الصهاينة من جرائم بشعة تحت ظل الإنتداب البريطانى وحماية سلطانه وبأسلحته لكى تتجسم لنا الصورة على حقيقتها .

وسوف نكتفى ببعض عينات مما سجلته «الوكالة اليهودية» فى يومياتها تحت عنوان «الصحيفة السوداء» . جاء فى هذه «لصحيفة السوداء» حقّا ..

«كانت أول بادرة تدل على أن أحداثاً جساماً على وشك أن تقع من جانب القيادة الصهيونية العليا ، هو ذلك الإعلان الذى ظهر فى صحافة لندن يوم ٢٠ سبتمبر ١٩٤٧ مفاده أن الوزارة

البريطانية قررت فى ذلك اليوم ترك فلسطين أو التخلى عن الانتداب فى وقت مبكر ما لم تقدم هيئة الأمم المتحدة مشروعاً معتمداً يكون مقبولاً لدى كل من اليهود والعرب .. وفى «ليك ساكسيس» بدأت الوفود المختلفة تقوى جهودها من وراء الستار ، وفى فلسطين يجمع الإرهاب اليهودى عزيمته» .

«وفى ٢٦ سبتمبر ١٩٤٧ اعترضت عصابة من الإرهابيين اليهود عربة مدرعة عند مبنى باركليز بنك فى تل أبيب وقتلت أربعة من رجال البوليس البريطانيين ، وهربت بمبلغ ١٨٠,٠٠٠ دولار » .

«وفى ٢٠ أكتوبر ١٩٤٧ نادت عصابة من اليهود تتنكر فى ملابس عسكرية بريطانية بالقرب من الرنانا على الشيخ أحمد سلامة تويكى وأربعة شبان من أقاربه بدعوى تفتيشهم وعندما خرجوا إليهم استجابة لما كانوا يظنونه مهمة عسكرية بريطانية رسمية، تم اعتيال الرجال الخمسة فجأة » .

دير ياسين يتحول إلى «حمام دم»

فى أفظع عملية إرهابية :[1]

ولعل أفظع عينة لهذا الإرهاب الذى كانت تمارسه المؤسسات الإرهابية الصهيونية تحت ظل سلطة الإنتداب البريطانى وفى حماية سلاحه ، هى مذبحة دير ياسين التى اقترفها الصهاينة .. تلك المجزرة التى ذهب ضحيتها أكثر من ٢٥٠ عربياً بين شيوخ وأطفال ونساء ذبحوا وبقرت بطون الحبالى منهم بالسلاح الأبيض ، ثم ألقوا بهم فى بئر وبعد ذلك شحن وطيف بمن بقى من سكان القرية فى شوارع القدس فى مظاهرة إرهابية تهدف لخلق جو من الإرهاب يبعث الفزع والذعر فى أنفس السكان العرب الآمنين .. لحملهم على التشرد .

شهادات الصهاينة أنفسهم :

ولنترك القلم للصهاينة أنفسهم يحدثوننا عن هذه الجريمة البشعة .. يقول جون كيمش Jon Kimche الكاتب والصحفى البريطانى الصهيونى الذى كان يغطى نشاط وكالة رويتر للأنباء فى فلسطين حينذاك والذى كتب مقالات عديدة عن عمليات

(١) هذه فلسطين - حسين التريكى .

اغتصاب فلسطين من قبل الصهاينة بحد السلاح فى جريدتى Evening Standard, Sunday Obsever وألف كتاباً بعنوان «الأعمدة السبعة التى تنهار» Les Sept qui tombent سجل فيه أحاديث لزعماء الإجراء الصهيونى مثل مناحم بيجين .. يقول هذا الصحفى :

«انقضت قوات مكونة من جنود «الأرغون» و«الشترن» صبيحة يوم الجمعة ٩ أبريل ١٩٤٨ على قرية دير ياسين ، ومن البديهى أنه لم يكن هنالك ما يوجب هذه العملية الوحشية ، والدليل على ذلك أن الروايات والتفسيرات المتناقضة التى أفضى بها الإرهابيون بعد وقوعها لم تقنع أحداً ولا تفسر وجوب اغتيال ٢٥٠ عربيا من بينهم أكثر من ١٠٠ امرأة وطفل .. وأبشع من هذه العملية كانت تلك المظاهرات الإشهارية التى قامت بها «أرغون» عندما كدست بعض الأسرى العرب المساكين فى عربات شحن ، وطافت بهم فى شوارع القدس » .

ويضيف هذا الصحفى اليهودى :

«وسوف تبقى مجزرة دير ياسين صفحة سوداء فى تاريخ حرب اليهود ، وإن كانت ذات أهمية من الوجهة التاريخية ، حيث إنها تشكل بداية المرحلة التى أراد الإرهابيون أن يخدموا بها قضيتهم

ويبرروا بها عملياتهم ، فكما أنهم يرجعون سبب إجلاء القوات البريطانية عن فلسطين إلى هجماتهم الإرهابية فإنهم يعتبرون أن مجزرة دير ياسين كانت العامل الحاسم الذى نشر الفزع والذعر والإرهاب بين السكان العرب ، وعجل بتشريد ما بقى منهم فى الذى نشر الفزع والذعر والإرهاب بين السكان العرب ، وعجل بتشريد ما بقى منهم فى القطاع الخاص بدولة إسرائيل ... ولم يعرف إلا مؤخرا أن الهدف من هذه العملية كان إرهاب العرب. لقد كانت عملية إرهابية ، ومناورة إشهارية تشمئز منها النفوس ، فضلا عن أنها لم تكن ضرورية .. وهكذا فقد كانت هذه المجزرة التى أحدثت حركة التشريد الإرادى بين السكان العرب للسهول الساحلية» .

ويقول الكاتب اليهودى أرثر كوستلر Arthur Koestler الذى عاش فى فلسطين ، ودوّن أحاديث دارت بينه وبين مناحم بيجين زعيم عصابة «أرغون» .. يقول فى الصفحة ١٦٠ من كتابه «الوعد والتنفيذ» .

«لقد كان «حمام دم» دير ياسين أفظع عملية قام بها الإرهابيون على الإطلاق .. وحادثا جانبيا للحرب بين العرب واليهود ، إلا أنه كانت له مضاعفات خارقة للعادة مما حمل الوكالة

اليهودية إلى إصدار بلاغ أعربت فيه عن اشمئزازها من فظاعة هذه المناورة البربرية التى نفذت بها العملية» .

وهل يبقى بعد الشهادات الواردة على ألسنة الصهاينة .. والتى سجلتها أقلامهم .. هل تبقى بعد ذلك أية قيمة للإدعاءات التى روجتها أبواق الدعاية الصهيونية ببريق من ذهبها فى كافة أنحاء الدنيا من أن «عرب فلسطين تركوا ديارهم استجابة للنداءات التى كان يوجهها لهم زعماء العرب وساستهم من الخارج ؟

وهذه شهادات أخرى :

هارى لفين Harry Levin وهو يهودى صهيونى من جنوب إفريقيا كان مراسلا لجريدة الديلى هيرالد Daily Herald ، ثم أصبح مذيعا لمحطة «الهاجاناه» السرية : وانتهى به المطاف إلى أن أصبح موظفا سلميا فى وزارة خارجية إسرائيل .. دون هارى ليفين هذا ، فى الصفحة ٥٧ - ٦٠ من كتابه «القدس فى حالة حرب » مايلى:

«٩ أبريل : احتل البارحة اتزل Etzel قرية دير ياسين ، تسرى روايات مفزعة عن اغتيال رجال وأطفال دون تميز . كانت دير ياسين ضمن القرى القلائل المجاورة للقدس التى كان يسودها الهدوء وفوق هذه الفظاعة فى التقتيل عمدوا إلى عرض «الأسرى

فى شوارع القدس» . لقد رأيت بعينى رأسى ثلاث سيارات نقل تسير فى بطء ذهابا وإيابا على الساعة ١٤ فى شارع الملك جورج بالقدس ، كان الرجال والنساء والأطفال فوقها رافعين أيديهم فوقها رافعين أيديهم فوق رؤوسهم يحوطهم الجنود اليهود شاهرين رشاشاتهم وبنادقهم .. كان شيخ القرية يركب إحدى هذه السيارات ومعه جمع من النساء يتقدمهم طفل رافعا كلتا يديه كأنهم جمدتا وجوههم مرهقة ونظراتهم مفزعة تضيع فى الفضاء» .

«١٠ أبريل كان دير ياسين موضوع اليوم قابلت ريينى Reyni-er ممثل الصليب الأحمر الذى ذهب لزيارة المكان لم يرد على أسئلتى إلا بكلمات «فظاعة» .. تحدثت مع "I" و "H" اللذان ينتميان للهاجانة فأما (I) فلم يرد على أسئلتى وأما (H) فقال لى رأيت كومة من الجثث تملأ البئر .. كانت أجسامهم محروقة ورأيت كومة أخرى من أجسام مشوهة لأطفال لا يتجاوزن ١٦ سنة وفى إحدى البيوت رأيت جثة أمرأة وطفلة ملقاة على الأرض» .

ويضيف إن : «داوود» قائد الهاجاناة لم يجرأ على إذاعة الخبر.. نظر إلى بعينيه الزرقاوين وهو يضغط على شفتيه وقال : «لا تذع ولو كلمة واحدة» وعندما كنا نذيع تدخل صوت على موجتنا قائلا : «وماذا حدث فى دير ياسين أيها المجرمون» .

ومناحم بيجين رئيس «أرغون» ورئيس حزب «الكاهال» المتطرف للصهيونية حاليا قال : .. لقد بدأ العرب يهربون من كل ناحية وهم مفزوعون إن ما وقع فى دير ياسين وما روى عن فظاعة ما وقع فى دير ياسين مهد السبيل لانتصاراتنا العسكرية» .

لقد وقعت كل هذه المذابح فى صورة «عمليات عكسرية» والتى وصفها الصهاينة أنفسهم بأنهم كانت مجازر بربرية فظيعة تشمئز منها الأنفس ، وقعت فى وقت لاتزال السلطات البريطانية تمارس فيه مسؤولياتها بموجب صك الانتداب الممنوح إياها من طرف عصبة الأمم فى سنة ١٩٢٠ . ولكن هذه السلطات التى كانت مسؤولة عن أمن سكان فلسطين كانت تنفذ تعليمات من أطفأ بريق الذهب الصهيونى كل إشعاع فى ضمائرهم .. ولا يهمهم إلا الوفاء بما تعهدوا به للصهاينة .. وسوف نرى بعد قليل كيف نفذت هذه السلطات البريطانية آخر عمليات الغدر بالعرب ..

من مذكرات جاك دى رينية

ممثل الصليب الأحمر فى فلسطين ١٩٤٨/١٩٤٩

دير ياسين[١]

فى هذه الأثناء وقع حادث غاية فى الخطورة كاد يتسبب فى إفشال مهمتى وكل ما كنت قد توصلت إليه من نجاح ، فقد اتصل بى الجانب العربى تليفونيا بعد ظهر يوم السبت العاشر من إبريل (١٩٤٨) وطلب منى أن أهرع إلى دير ياسين لأن سكان هذه القرية من المدنيين العرب قد أبيدوا تماما فى مجزرة وحشية ، وعلمت أن المتطرفين من منظمة أرجون هم الذين يسيطرون على هذا القطاع الواقع فى تخوم مدينة القدس .

وعندما توجهت بسؤال الوكالة اليهودية والقيادة العامة للهاجاناة (الجيش اليهودى) كان الرد هو أنهم لا يعرفون شيئا عن الموضوع ، وأنه من المستحيل على أى من كان أن يدخل قطاعا تسيطر عليه منظمة أرجون ، وقدموا لى النصح بألا أتدخل فى هذا الموضوع وإلا تعرضت مهمتى برمتها للوأد وهى مازالت فى المهد ، ثم أكدوا لى أنهم ليسوا فى وضع يسمح لهم بتقديم أى مساعدة معلنين مسبقا

(١) القدس ١٩٤٨ جاك دى رينيه ترجمة وتقديم نبيل سعد .

عدم تدخل أى مسئولية عما سيحدث لى حتما فى حالة إصرارى على الذهاب إلى دير ياسين .

أجبتهم ببساطة أننى حتما ذاهب إلى هناك بل إننا أحمل الوكالة اليهودية المسئولية الكاملة عن شخص وعن حريتى فى التحرك ما دام ذلك يدخل فى إطار المهمة الموكولة إلى، فالوكالة اليهودية كما هو معروف للكافة تمارس سلطاتها على جميع الأراضى الواقعة فى نطاق السيطرة اليهودية .

قلت ذلك على الرغم من أنه لم تكن لدىّ أية فكرة عما يمكن أن أقوم به للوصول إلى هناك ، إذ يستحيل ذلك دون مساعدة يهودية .

بعد تفكير طويل تذكرت فجأة أن إحدى الممرضات اليهوديات العاملات فى أحد المستشفيات فى القدس كانت قد أعطتنى رقم تليفونها وهى تقول لى بطريقة غريبة أنه إذا حدث يوما أن وجدت نفسى فى موقف لا مخرج منه ، فيمكننى حينئذ الاعتماد عليها!! فاتصلت بها وكان ذلك فى وقت متأخر من الليل .. لعل وعسى.. ولما عرضت عليها الموقف ، طلبت منى أن أذهب فى السابعة من صباح اليوم التالى إلى مكان حددته لى حيث سأجد شخصا فى انتظارى أصطحبه معى فى السيارة ثم بادرت هى بقطع الاتصال التليفونى .

فى السبعة تماما من اليوم التالى وفى المكان المحدد قفز داخل السيارة شخص فى زى مدنى جيوبه منتفخة بما تحتويه من مسدسات ، وطلب منى أن أستمر فى قيادة السيارة دون توقف وأضاف أن سيرشدنى فقط إلى الطريق المؤدى إلى دير ياسين ولا شىء أكثر من ذلك، خرجنا من القدس ثم تركنا الطريق الرئيسى ، وعبرنا آخر موقع للجيش اليهودى النظامى ، ثم عرجنا إلى طريق ثانوى ، وسرعان ما استوقفنا شخصان فى ثياب عسكرية ، هيئتهما لا تطمئن ، شاهرين بنادقهما الرشاشة ويتدلى سيف كبير من حزام كل منهما وأدركت أن ذلك هو الزى الذى يرتديه أعضاء المنظمة التى أبحث عنها ، أرغمانى على النزول من السيارة ثم قاما بتفتيشى تفتيشا ذاتيا دقيقا ، وسرعان ما تيقنت أنى وقعت فى الأسر .

وبدأ اليأس يتسرب إلى قلبى وتأكد لى أن كل شىء قد انتهى، ولكن وصل إلى حيث كنا شخص ضخم جدا لا يقل طول قامته عن المترين ، عريض المنكبين فى عرض دولاب جدتى ذى المرايا الضخمة ، وإذ به يدفع زميليه دفعا وراح يشد على يدى يكاد يفرمهما بين براثنه وهو يزأر بكلام لم أفهمه ، كان لا يعرف لا الإنجليزية ولا الفرنسية وأخيرا أمكننا التفاهم بالألمانية تفاهما تاما، فقد أعرب لى عن سعادته الجمة برؤية مندوب من الجنة الدولية للصليب الأحمر وذلك لأنه يدين لها بالحياة . إذ إننا تدخلنا

لإنقاذه ، وذلك ثلاث مرات مختلفة ، عندما كان أسيرا فى معسكر من معسكرات اليهود فى ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية ، وصرخ قائلا : أنت أكثر من أخ بالنسبة لى ، وأنه سوف يقوم بتنفيذ كل ما أطلبه منه ، شعرت ساعتها أنه بإمكانى وأنا فى معية حارس خاص مثله أن أصل إلى أى نقطة فى العالم ، ولكن فلنبدأ بالذهاب إلى دير ياسين !!

وصلنا - حارسى الخاص وأنا - إلى قمة أكمة تبعد خمسمائة متر عن القرية وكان فى استطاعتنا رؤيتها أسفلها ، وعند هذه النقطة انتظرنا طويلا الحصول على تصريح للمرور إذا كان الرصاص ينهمر من الجانب العربى كلما حاول أحدهم المرور على الطريق المؤدى للقرية ، ثم إن قائد النقطة التابعة للأرجون لم يكن متحمسا لاستقبالى .

فى نهاية الأمر رأيته يقترب منى : كان شابا هيئته متميزة ، كان غاية فى الأدب ولكن كان لعينيه بريق خاص جدا بسبب قسوة النظرة وبرودها الكامل ، رحت أشرح له أن مهمتى ليست مهمة قاض أو حكم بل أريد فقط إنقاذ الجرحى واستعادة جثث القتلى ، وأكدت له فى هذا الصدد أن اليهود قد وقعوا على تعهد باحترام اتفاقيات جنيف وتأسيسا على ذلك فإن مهمتى تصطبغ

بالصفة الرسمية ، هذه الكلمات الأخيرة أثارت ثائرة الضابط ، فطلب منى أن أعى للمرة الأولى والأخيرة أن منظمة الأرجون هى التى تسيطر على هذا المكان ولا أحد غيرها ولا حتى الوكالة اليهودية التى لا تربطهم بها أية صلة ، عندما رأى حارسى الخاص الضخم أن الجدل أخذ يحتد تدخل بالحديث ويبدو أنه أحسن اختيار المبررات إذ سرعان ما قال لى الضابط إن بإمكانى التصرف كما يحلو لى ولكن على مسئوليتى الشخصية ثم أخذ يروى لى قصة هذه القرية . دير ياسين . كان يسكنها العرب فقط ، كانوا أربعمائة ، لم يتسلحوا قط فى تاريخهم كله ، يعيشون فى تفاهم ووئام تام مع اليهود المحيطين بهم ، وتستمر روايته لقصة القرية فيقول : إن جنود منظمة الأرجون وصلوا القرية منذ أربع وعشرين ساعة فقط وأخذوا يذيعون فى مكبرات الصوت أمرهم لجميع السكان بمغادرة بيوتهم فورا وبتسليم أنفسهم فى ظرف خمس عشرة دقيقة فقط ، وقد سارع عدد قليل من هؤلاء البؤساء بتنفيذ النداء وقيل لهم إنهم أصبحوا من أسرى الحرب ، غير أنه أفرج عنهم بعد قليل وتم ترحيلهم إلى حيث تقع الخطوط العربية ، أما باقى السكان أى الذين لم ينصاعوا للأمر الصادر لهم فقد لقوا المصير المحتوم .. وأضاف مسرعا : يجب ألا أبالغ .. إذ لا يوجد سوى بعض القتلى سيتم دفنهم حال الانتهاء من «تنظيف» القرية ،

وإذا حدث ووجدت بعض الجثث فسيكون فى استطاعتى أن أنقلها، ثم تدارك قائلا : وعلى العموم فمن المؤكد أنه لا يوجد جرحى فى القرية .

أصابتنى رؤايته بفشعريرة الرعب .

عـدت إلى طريق القدس وبحثت عن عربة إسعاف وشاحنة كنت قد طلبتهما من الدرع الأحمر اليهودى كان سائقا السيارتين والطبيب اليهودى المرافق لهما فى رعب من أمرهم أيضا ، وكانوا أقرب من الموت عن الحياة ، ومع ذلك قبلوا أن يرافقونى بشجاعة .

قبل أن نصل إلى نقطة التفتيش الأولى التابعة لمنظمة إرجون أوقفت السيارتين ، وقمت بتفتيشهما ، وحسنا فعلت ، إذ اكتشفت وجود صحفيين يهود داخلها كلهما أمل فى تحقيق أعظم ريبورتاج فى حياتهما ، إلا أنى أمرتهما فى حدة بالغة بالنزول من السيارة ومغادرة الموكب فورا .

وصلت بقافلتى .. وكان اطلاق الرصاص من الجانب العربى قد توقف كان الجنود فى القرية يرتدون ملابس الميدان والخوذات فوق رءوسهم .. كانوا جميعا من الشباب بل كان منهم مراهقون ، رجال ونساء مسلحون تسليحا مكثفا بالمسدسات والآليات سريعة

الطلقات ، وبالقنابل اليدوية ، كما كانوا أيضا مسلحين بالسيوف المقوسة الضخمة ممسكين بها فى أيديهم والدماء مازالت تسيل من أطرافها ، استوقفتنى شابة صغيرة جميلة ولكن فيعينها نظرات المجرمين لأشاهد سيفها الذى ما زال يقطر دما وهى تحمله فى سيرها كما لو كان كأس الانتصار .

وأدركت أن فريق «التنظيف» قد قام بالتأكيد بمهمته خير قيام!! عندما حاولت دخول أحد المنازل أحاط بى عشرة من الجنود شاهرين مدافعهم الرشاشة وأمرنى ضابطهم بعدم التحرك من مكانى موضحا أنهم سيحضرون لى الجثث إن هم وجدوا جثثا أصلا ، عندئذ تملكتنى ثورة لم يحدث لى مثلها فى حياتى وصرخت فى وجه هؤلاء السفاحين معبرا لهم عن رأيى فى سلوكهم مهددا إياهم بكل الصواعق التى يمكن أن تسقط على رءوسهم ، ثم دفعت بعيدا كل من وقف فى طريقى ودلفت إلى المنزل .

الغرفة الأولى كانت مظلمة ، كل ما بها كان فى حالة فوضى شاملة ، ولكن لم يكن أحد بداخلها ، فى الثانية وجدت بين هشيم الأثاث والأغطية وكل أنواع الحطام بعض الجثث : كانت باردة : واضح جدا أن عملية «التنظيف» تمت بواسطة الرشاشات ثم القنابل اليدوية وانتهت بالسيوف .. أيا من كان .. كان فى استطاعته إدراك ذلك .

تكرر المشهد نفسه فى الغرفة التالية . ولكن وإذ كنت أهم بمغادرتها ، سمعت صوتا يشبه التنهد ، رحت أبحث فى المكان كله أبعد الجثث إلى أن لمست قدما صغيرة لا تزال دافئة ، كانت لفتاة فى العاشرة من عمرها أصابتها شظايا قنبلة يدوية بإصابات بالغة ولكنها مازالت على قيد الحياة وإذ هممت بنقلها منعنى الضابط معترضا خروجى من باب الغرفة ، فأزحته أمامى وأنا أحمل حملى الثمين وفى حراسة حارسى الضخم الذى يبدو كدولاب جدتى .

أسرعت سيارة الإسعاف فى طريقها إلى المستشفى بعد أن أمرتها بالعودة فورا ، وكان تقديرى للموقف أنه مادام الجنود لم يتجرأوا على مهاجمة شخصى حتى الآن فمعنى ذلك أن فى إمكانى الاستمرار ، أصدرت أوامرى بوضع الجثث فوق الشاحنة ، ثم دخلت المنزل الثانى ثم الثالث ثم الذى بعده وهكذا : فى كل مكان رأيت نفس المشهد البشع ، لم أعثر سوى على سيدتين أحياء إحداهما كانت جدة عجوزا تسمرت مختبئة وراء كوم من الأخشاب دون حراك أربعة وعشرين ساعة على الأقل .

كان يوجد فى قرية دير ياسين أربعمائة فرد .. هرب منهم خمسون وبقى ثلاثة أفراد على قيد الحياة ، أما الباقى فقد

ذبحوا بطريقة علمية منظمة مع سبق الإصرار وبإرادة كاملة . إذ إنى لمست بنفسى كيف أن هؤلاء الجنود كانوا تحت السيطرة التامة لا يفعلون سوى ما يؤمرون به .

عدت إلـى القدس ، وذهبت إلى مقر الوكالة اليهودية حيث وجدت القادة فى حالة أسى ، لما حـدث يعتـذرون عنـه مدعين أنهم قالوا لى مسبقا ن لا سلطان لهم على منظمتى إرجـون واشترن، لقد قـالوا ذلك بالفعل ولكن هذا لا يمنع أنهم لم يفعلوا شيئا لكى يحولوا دون أن يرتكب مائة فـرد هـذه الجريمة التى لا يوجـد لها وصـف فى أى قامـوس .

بعد ذلك قمت بزيارة الجانب العربى ، لم أصف لهم ما رأيته ولكنى قلت إن زيارة مبدئية لمكان الحادث أكدت وجود عدة قتلى، ثم استفسرت منهم عما يجب أن أفعله بالنسبة للجثث ، وعن المكان الذى يجب أن تنقل إليه .. عبر العرب عن غضبهم الجم ، وكان هناك بالفعل ما يبرر ذلك ، وشل هذا الحدث إرادتهم ومنعهم من اتخاذ قرار سريع ، كانوا يـودون نقل الجثث ناحية العـربى ولكنهم فى نفس الوقت كانوا يتحاشون إثارة السكان ، لم يكن بإمكانهم تحديد مكان لتخزين الجثث أو دفنها ، فى آخر الأمر طلبوا منى دفن الجثث هناك بشكل لائق ، وفى نقطة يمكن

التعرف عليها فيما بعد ، وعدتهم بأن أفعل ذلك وعدت أدراجى إلى دير ياسين ، حيث وجدت جماعة إرجون فى حالة عصبية وحاولوا مجددا منعى من دخول القرية ، ولم يطل بى الوقت لإدراك سبب توترهم الشديد ، وذلك عندما رأيت كمية الجثث المرصوصة رصا فوق الطريق الرئيسى للقرية وعانيت بكل أسى من الحالة التى كانت عليها الجثث ، فما كان أمامى حل سوى أن أطالب بشدة بأن تتم عملية الدفن فورا وفى حضورى شخصيا ولما كان من المستحيل التعرف على هوية الموتى بسبب وجود أى أوراق تدل على شخصياتهم فقد أشرفت ، وبعد جدل طويل تم حفر مقبرة جماعية كبيرة داخل حديقة صغيرة ، وعند حلول الظلام عدت أدراجى على القدس مؤكدا عزمى العودة فى اليوم التالى .

بعد يومين اختفى أعضاء منظمة إرجون تماما من المنطقة وتولت الهاجانا المسئولية ، مما أدى إلى اكتشاف أماكن أخرى كانت بها جثث متراكمة دون أى احترام أو حياء فى الخلاء العام.

ولدى عودتى بعد هذه الزيارة الأخيرة إلى مكتبى وجدت رجلين يرتديان الملابس المدنية الأنيقة جدا ينتظرانى منذ أكثر من ساعة ، قائد فصيلة إرجون ونائبه قدما لى نصا مكتوبا وطلبا توقيعى عليه ، كان بيانا ينص على أنهم استقبلونى بكل تقدير واحترام

وقاموا بتقديم كافة التسهيلات التى طلبتها منهم لإتمام مهمتى على الوجه الأكمل ولذلك فإنى أتقدم إليهم بالشكر والامتنان على هذه المساعدات الكريمة !!! ولما لم أرد عليهما فورا ظنا أنى على استعداد لمجادلتهما وقالا لى وبوضوح تام إذا أنا أردت أن أبقى حيا فعلى أن أوقع على البيان فورا ، الحل الأوحد الذى تركاه أمامى هو أنى أقنعتهما بأنى أبعد ما أكون عن التمسك بالحياة ، وأن تقريرا مناقضا تماما لتقريرهما قد أرسل بالفعل إلى جنيف ، وقبل أن أطلب منهما مغادرة مكتبى أوضحت مرة أخرى ماهية مهمتى وسألتهما إذا كان ينويان اعتراضى فى المستقبل ، فلم أحصل ساعتها على أى رد منهما .

غير أنى إلتقيت بهما فيما بعد فى تل أبيب ، وكانا يودان الحصول على مساعدتنا من أجل بعض من ذويهما ، ولكى يعبرا عن امتنانهما لمساعدتنا هذه ، فقد ساعدانا كثيراً لأكثر من مرة ، بأن سلمانا دون نقاش بعض الرهائن ، كنا نطالب بهم .

كان لعملية دير ياسين هذه آثار هائلة ، أذاعت الصحافة والإذاعة النبأ فى كل مكان سواء عند العرب أو اليهود ، هكذا نشأت عند الجانب العربى حالة من الذعر المتفشى ، عمل اليهود ببراعة على إذكائها باستمرار . وقد استخدمت هذه الأحداث

كحجة سياسية وكانت نتائجها مأساوية . العرب ، يدفعهم الرعب ، تركوا ديارهم ولجأوا إلى المنطقة التى يوجد بها ذووهم . العزب المعزولة ، ثم القرى ، وبعدها المدن ثم الجلاء عنها بهذه الطريقة ، حتى عندما كان الغازى اليهودى لم يفعل سوى حركة يفهم منها أنه يعتزم الهجوم . فى نهاية الأمر ، تحول سبعمائة ألف عربى إلى لاجئين ، تاركين كل شىء فى تسرع عظيم ، بهدف وحيد هو تفادى لقاء نفس مصير أهل دير ياسين . آثار هذه المذبحة أبعد من أن تكون مستفزة ، بما أن هذه الجموع الهائلة من اللاجئين لازالت تعيش إلى يومنا هذا فى معسكرات عشوائية ، دون عمل ، ودون أمل ، يوزع عليهم الصليب الأحمر معونات الأمم المتحدة .

استاءت السلطات اليهودية للغاية من هذه العملية التى جرت أحداثها بعد أربعة أيام فقط من توقيعها على تعهدها باحترام اتفاقيات جنيف . ترجونى أن أذهب إلى العرب لكى أشرح لهم أنها حادثة منعزلة وأن السلطات الحقيقية ستحترم تعهدها . أجبت بأنى أريد أن أقوم بمحاولة ، غير أنى لم أتمكن من إخفاء استيائى ، وخوفى بالنسبة للمستقبل .

كان العرب من ناحيتهم ، فى قمة الغضب وبدوا مثبطى

الهمم تماما . بالنسبة لهم ، لم يعد هناك ما ينتظرونه من عمل جيد من الجانب اليهودى وبدءوا يتساءلون إذا لم يكن من الأفضل أن يسقطوا من حساباتهم أى فكرة إنسانية تجاهه . لم يكن سهلا بالطبع أن تهدىء من غضبهم بمحاولة اقناعهم أن خطأ البعض لا يبرر فى شئ خطأ الآخر . على العكس ، كما كنا نقول لهم ، إن احترام العرب لتعهداتهم سيثبت للعالم أنهم شرفاء وأمناء على الكلمة المعطاة . أكدنا لهم أن تجربتنا الطويلة تمنعنا من الشك فيهم وإننا نعلم أن سلوكهم سيكون نبيلا وإنسانيا ، مهما حدث . بعد هذا الاجتماع الذى لا ينسى ، خرجنا بانطباع أننا لم نفقد كل شىء ، ولو أننا على وشك أن نفقده .

رفع تدخلنا فى هذه العملية من هيبة بعثتنا . أدرك اليهود مقدار صرامتنا وقد اندهشوا لرؤيتنا أحياء لدى عودتنا من دير ياسين . دون أى معاونة من جانبهم . عبروا عن امتنانهم لأننا لم نستغل ذلك فى الدعاية أو أى بيان ، لا للصحافة ولا للإذاعة ، كما سجلوا بهذه المناسبة حيادنا التام . إن أى موقف آخر من جانبنا كان سيتسبب فى تسميم صراع وحشى فى الأصل بما يكفيه ، كما كان سيتسبب فى عمليات ثأرية يروح ضحيتها أبرياء آخرون .

* * *

فى المساء ذاته وصلنى خبر عظيم : أعلنت الإذاعة السويسرية من جنيف أن المندوبين سيصلون قريبا ، وأن أول هؤلاء سيصلون فى غضون ثلاثة أيام ... كانت فرحتى بذلك لا توصف ، لأنه لم يكن فى استطاعتى أن أقوم بكل شىء ، وكان المطلوب عمله كثيرا . الانجليز سيجلون عن فلسطين خلال شهر واحد وسيكون الأمر عندئذ أسوأ عشرات مرات من الآن .